جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات اسلامية معاصرة / العدد 35 / آذار 2023

أشعار الطفل في مجلة قنبر
_ دراسة في المضامين الأخلاقيّة والتربويّة _
Children's poetry in Qanbar magazine
-A study of ethical and educational contents-

حسين رزاق جاسم
Hussein Razzaq Jassim

أ.م.د علي محمد ياسين
Assist. Prof. Dr. Ali Muhammad Yassin

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية
Karbala University/College of Islamic Sciences

الكلمات المفتاحيّة: أشعار الطفل، مجلّة قنبر، المضامين الأخلاقيّة والتربويّة

Keywords: children's poetry, Qanbar magazine, moral and educational contents.

الملخّص:

يتناول البحث النصوص المنشورة في مجلّة (قنبر) الصادرة عن وحدة الطفولة التابعة لشعبة الصحافة في قسم إعلام العتبة العلوية المقدسة؛ كونها مجلّة تُعنى بشؤون الأطفال، والدراسة تكشف عن المضامين الأخلاقيّة والتربويّة التي ضمنها الشعراء في المتن الشعري المدروس؛ قصد التأثير بالأطفال واكسابهم مفاهيم قيميّة، وقد اعتمد البحث نماذج مختارة تحوي المضامين التي تعمل على إكساب المتلقين الصغار خبرات حياتيّة تمكّنهم من التعايش مع المجتمع بأسلوب أدبي بسيط، وألفاظ تتسم بالوضوح والمباشرة، كون النصوص موّجه لفئة من الأطفال لا تقتضي استعمال لغة عالية أو أساليب لغويّة وأدبيّة عالية بل تكون اللغة موافقه للمعجم اللغوي للأطفال.

Abstract:

The research studies the texts published in the (Qanbar) magazine, the rulings on the Childhood Unit of the Press Department in the Media Department of the Upper Shrine; It refers to a magazine that refers to children, and reveals evidence indicating that these adults, the purchase, and the purchase in the poetic text, we relied on previous models that contain contents that work to coexist with society in a simple literary style, and words with clarity and directness, the texts being directed to the category of children in using A high language or linguistic language of high agreement, but the language is in agreement with the linguistic lexicon of children.

المقدِّمة

يندرج أدب الأطفال ضمن الموضوعات المهمة التي انفتح عليها العالم المعاصر، ولا نعني بالأدب شعرًا ونثرًا فقط، بل يتعدى ذلك إلى الاهتمام بالمسرح وجميع النشاطات التي من شأنها أن تثري عقل الطفل، وتنمي إدركه، ومن الملاحظ أنّ مجلات الأطفال تحاول جاهدةً صنع الفرق في عمليّة استقطاب الأطفال من خلال ما تصدره من أعداد تجمع فيها بين المرح والتعليم والتربية، وبذلك تكون الموضوعات وحدة متكاملة ساندة لواقع الحياة التي يعيشها الطفل، ومن أبرز ما تدور عليه موضوعات هذه المجلة التي انتخبناها موضوعًا للبحث أنّها اعتمدت الجانب التهذيبي الخلقي، وعملت في أنساقه المختلفة على توظيف القيم الأخلاقيّة التربويّة في الشعر؛ لتجعل من الجانب القيمي بوابة لفهم العلاقات الاجتماعيّة والانسانيّة.

لذا توجّهت الدراسة للكشف عن مشكلة البحث التي تكمن في توضيح ماهيّة المضامين الأخلاقيّة والتربويّة التي تدور عليها نصوص هذا المتن الشعري، عِبر اختيار منهج وصفي يستقرئ المتن الشعري من خلال إجراءات تستظهر مكامن النص، زيادة على ذلك فإنّ البحث يحاول أن يسلّط الضوء على اللغة التي وظّفها الشعراء لإيصال هذه المضامين، للوقوف على ملامحها ووصفها من خلال تحليل نماذج مختارة من هذه المدوّنة.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ هذا المتن لم يدرس –وفق ما وصلنا إليه– إلا دراسة واحدة وهي رسالة الماجستير الموسومة بـ(الحكاية الشعرية في أدب الطفل في العراق نماذج مختارة) لضحى جعفر هندي كلية الآداب جامعة البصرة عام 2020م، وقد تضمّنت الرسالة بعض النصوص التي تمثّل الحكاية الشعرية فقط، باحثةً بشكل مختصر عن المضامين التربويّة، أمّا هذا البحث فقد ركّز على القسم الأكبر من القيم الاخلاقيّة والتربويّة التي وظّفها الشعراء في نصوصهم، وجاء البحث في مقدّمة ومحورين تتمثّل بالمضامين (الأخلاقيّة، والتربويّة)، وختم البحث بقائمة نتائج، وقد اتبع الباحث منهجًا تحليليًا وصفيًا.

أشعار الطفل:

لا بدّ من التعرّف على أدب الطفل بمعرفة أسسه وبيان حدوده واستكشاف معالمه، كما يجب الإيمان بأهميّته والوقوف على أهدافه التي أنتج لها، فإدب الأطفال أدب أصيل ينمّي فيهم روح المعرفة ويثريهم عبر تزويدهم بخبرات جديدة وإكسابهم ثقافة تصل بهم إلى عوالم أخرى وتفهمهم أسرار الحياة[1].

وأدب الأطفال لا يتعلّق بالنتاج العقلي المتميّز والفهم والاستدلال الناتج عن الثقافة العامة، بل يبحث في أساسه على الخلق الإبداعي، إذ هو أدب يشتمل على العاطفة، يوازي في مضمونه ما ينتج في أدب الكتب المدرسيّة المعرفيّة، وهو معنيٌّ بالقيم الخلقيَّة التي تركّز على البناء التربوي الذي يمكّن الأطفال من اكتساب المعرفة والتعليم في آن واحد، زيادة على ذلك فإنّه يزجّ الأطفال في نشاطات فكريّة في جو التنمية والميل للآداب والفنون من طريق ما تقدمه الرؤى التربوية المتكاملة لهذا الأدب[2].

د– مجلّة قنبر:

أصدرت وحدة الطفولة التابعة لشعبة الصحافة في قسم الإعلام في العتبة العلوية المقدسة مجلتها الشهرية في عام (2013م) وضمّ عددها الأوّل(16) صفحة فقط، وتطورت وحدة الطفولة إلى شعبة مستقلة في عام (2019م) بإنشاء (مركز المحسن لثقافة الأطفال)، وشمل فعاليات متنوعة ومشاريع كثيرة تهتم بخلق أجواء ثقافيّة ودينيّة توجيهيّة وتعليميّة ترقى بالأطفال إلى أن يكونوا بناةً في المستقبل، اعتمدت مجلّة قنبر في سياستها على التنوع والتنظيم فتارةً نجدُ فيها أبوابًا تتغير في كلِّ عدد، وهناك أبواب ثابتة في كلّ اصداراتها؛ وهي تسعى من بذلك إلى ترسيخ المبادئ ونشر القيم الإنسانيّة من جهة، وتعليم الناشئة بعض المعارف ونشر الثقافة بأسلوبٍ أدبي بسيط على أيدي صناع الأدب والمربين.

أمّا مناهل المجلّة وروافدها المعرفية والأدبيَّة فهي تتأتى من توليد المجلّة أفكارًا جديدةً؛ لاعتمادها في الابداع على خبراء في الكتابة والتأليف في أدب الطفل، فهي تطرق أفكارًا جديدة في الغالب وهذا جعل من انتقاء الموضوعات دقيقًا مع توخي الأهداف التي وضعت لأجلها المجلّة[3].

المضامين الأخلاقيّة والتربويّة:

إنَّ التوازن الذي تخلقه التربية في المجتمع يعمل على بناء علاقات أخلاقيّة، يبدأ تأثير ذلك التوازن في التجلي من خلال سلوكيات الأفراد في مواطن مختلفة ومواقف متعددة، وتتسع دائرة هذه السلوكيات التي تعتمد الأساس الأخلاقي والقيمي كلما تأصلت في النفس، وتعامل معها المجتمع بصورة إيجابيّة.

وإنّ كثرة الالتزامات الاخلاقيّة في الوقت الذي ينشغل المربي بمسؤوليات الحياة الأخرى تجعلُ من الصعب السيطرة على مدخلات التربية ومخرجاتها؛ كون الطفل لا يتلقى تعلمه من الأسرة بشكل خاص، لذا فالمربي بحاجة إلى إسناد قوى أخرى وتوفير إمكانيات مؤسساتية لترفع عن كاهل الأسرة بعض الثقل، وتقوي التربية الأخلاقيّة القيميّة بأدوات جديدة تعزز من شخصية الطفل والأسرة في آن معًا[4].

وليس بجديد أن يأتي شاعر إلى القضايا الأخلاقيّة، فيجسِّدها في الشعر، إذ ((أكّد علماء النفس ورجال التربية، على أهميَّة مراحل الطفولة؛ ذلك أنّ حياة الطفولة لها أثر خطير في توجيه حياة الإنسان بكلّ مراحلها ففيها تتكوّن شخصيَّة الإنسان، وتتبلور طباعه وتتشكّل ميوله وعاداته واتّجاهاته.. والشعر أحد فنون هذا الأدب؛ الذي يعمل على تنمية الطفل، وصوغ وجدانه في القالب المنشود وتعليمه وتثقيفه))[5]، وأدب الطفل بطبيعته يقومُ على ركائزَ أساسيَّة منشأها الأخلاق والتربية الحسنة، التي سنعرِّج على ذكر تجلّياتها في الخطاب الشعري الموجّه للأطفال في هذا المتن الشعري؛ لبيان أثره في نفوس النشء:

المبحث الأوّل: المضامين الأخلاقيّة:

تتمثل القيم الأخلاقيَّة بما تحويه النفس من قوى الخير التي تعزز من تواصل الانسان مع محيطه، ومن تلك القيم الاحترام، وحسن الخلق، وحسن الجوار، والصدق، والمحبّة، والمساعدة، وغيرها من المفاهيم والقيم التي حاول الشعراء إيصالها للأطفال، عِبر غرس المعاني الأخلاقيّة في نفوسهم؛ لأنَّ ((التربية الخلقيَّة تعني الوصول إلى المثل العليا من الخلق الكامل في العادات والأحوال والآداب في هذه الحياة، والغرض منها الوصول إلى تكوين جيل يتمتّع بالأخلاق الكريمة والعزيمة القوية))[6]، وتأتي هذه القيم بمضامين مركزيَّة تشكّل أساس التعامل الإنساني، إذ بدَّ للأطفال أن يدركوا ((أنَّ الله كرَّم الإنسان فمن الواجب أن نحترم الإنسانيَّة))[7]، والقيم الأخلاقيَّة تمثِّل ((الصفات الداخليَّة للنفس الإنسانيَّة، حيث إنَّ الاخلاق هي عماد النفس، وقيمة الإنسان تكمن في أخلاقه، فكلما كانت القيم الأخلاقيَّة عالية كان أولى بالاحترام، والمخلوق البشري يكون إنسانًا كلما زاد لديه منسوب الأخلاق))[8]، ومن المضامين الأخلاقيّة:

أ- **المحبَّة:**

ينصرف مفهوم الحبّ إلى العلاقة القلبيّة التي تنشأ بين طرفين، وهو رابط يحمل من القداسة والطهر ما لا يمكن له أن يدنّس، ومن تمثّلات هذا الحب الذي جاء في المتن الشعري:

1. حبّ الله:

كثيرًا ما استعمل الشعراء مفاهيم المحبّة التي تشير إلى الخالق –عزّ وجل– والمحبّة هنا هي سلوك معرفي تتسامى به الأخلاق ويزيد فيه إدراك الإنسان لحقيقته كونه عبد الله، ومن ذلك ما جاء في نصّ (حبّك نور)[9] للشاعر جليل خزعل إذ جمع بين ماهيَّة الله التي لا تدرك، ولا تُشاكل؛ لأنَّه الفرد الصمد، وبين حبّ الله الذي يملأ القلب إشراقًا، فيقول فيه:

أعجَزُ عَن وصفكَ يا ربّي
حبُّكَ نورٌ يَملأُ قلبي
ليسَ كَمِثلِكَ شيءٌ أبدًا
كنتَ وتبقى فردًا صمدًا

وهنا ينكشف المسعى وراء النصّ عِبر ربط جوهر الحياة الروحيَّة بالخلق مع الله، ولا تبتعد النصوص الأدبيَّة عن معالجة الموضوعات الأخلاقيّة طالما دارت على ذكر الإله، ومن هنا ترى ((أنَّ الشعراء قد أجمعوا على تبني فكرة غرس محبة الله في نفوس الأطفال وتهيئتهم لمعرفته والإيمان به، من خلال مواقف محببة وسارّة وعبارات سهلة وسريعة الحفظ))[10]، وفي نصّ (أُحِبُّ ربّي)[11] يقول الشاعر جليل خزعل:

إنّي أحبُّ ربّي إنّي أحبُّ ربّي
على لساني ذكرُهُ وحُبُّهُ في قلبي

وترى اللغة بسيطة وألفاظها سلسة، ومع أن المضامين ترتبط بالجانب الروحي، لكنّها رسمت ملامح المحبّة عبر استحضار النعم التي يغدق بها الله على عباده التي تتمثل بالهداية والحفظ والمعونة، وكذلك الرزق والكرم والرحمة والمغفرة، فكل ذلك يوطّد العلاقة بين الربّ والمربوب.

2. حبّ الآخر:

يتمثّل حبّ الآخر بنماذج عديدة منها حبّ الأسرة –الوالدين بالخصوص– أو حبّ الناس بشكل عام، ومن ذلك ما استعمله الشاعر جليل خزعل في نصّ (حمدًا حمدًا)[12]، إذ قال فيه:

حَمْدًا حَمْدًا يا رَحْمنْ
نَوِّرْ قَلْبي بالإيمانْ
احفَظْ أُمّي وأَبي الغالي
واحفَظ لي كُلَّ الإخوانْ

وهنا جعل الشاعر الدعاء مضمونًا للحب الذي يجمعه بين أبيه وأمّه والإخوان، تمثّل هذا الحبّ بالدعاء لهم بالسلامة والحفظ، وللشاعر حسين عطية السلطاني نصّ بعنوان (أُمّي)[13] إذ تنقَّل فيه ما بين صدق عاطفة الطفولة، وحنو قلب الأمّ ليقول بلسان الطفولة:

أُمّي أُمّي ما أحلاها
زَرَعتْ باللطف ثناياها

القلبُ بشوقٍ يرعاها

ولساني حُبًا يَهواها

فنداؤه (أُمّي) يأتي من حقيقة شعوره الإنساني الذي يعبِّر عنه وعن الآخر بشكل مطلق، وهذا الشعور وإن لم يبده الأطفال؛ لعدم استطاعتهم.

فنلحظ مما تقدّم أن الشعراء ركّزوا على حبّ الإنسان لربّه، عبر ما اوردا من الأشعار التي تجمع بين حبّ الله –سبحانه وتعال– وحبّ النبي وآل البيت –عليهم السلام– وحبّ الإنسان لأخيه، ووطنه.

ب– الصدق:

يعدّ الصدق سمةً بارزةً لأصحاب القيم الاخلاقيّة والاجتماعيّة، ويختلف تمثّل هذه القيم ودرجة تطابقها من شخص للآخر، وقد دأب المربون على تعليم الناشئة الصدق وحثّهم عليه انطلاقًا من أهميّته العظمى في حياة المجتمع، فجعل الشعراء مفاهيم الصدق والصداقة محورًا للعديد من النصوص إذ انتقى الشعراء موضوعاتهم بعناية، فتراهم وظفوا الجانب القيمي مشفوعًا بمرجعيّات غالبًا ما تكون إسلاميّة، ومن ذلك نصّ (الصدق نجاة)[14]، للشاعر سراج جراد أيضًا ومنه:

أدَّبني ربي وهداني

بالإيمان وبالقرآنِ

وأبي يرشدني يرعاني

يهديني دومًا للحقِّ

ويعلِّمني قولَ الصِّدقِ

قولٌ أحفظه للأبد

الصدقُ نجاةٌ يا ولدي

فالأدب له قيمة عظيمة، وهو مفتاح الفضائل، وليس ثمّة آدابٌ أفضل مما جاء به كتاب الله وهو دليل الحق، والقول الصادق، وعندما يبثَّ الشاعر مشاعر الفرح لإسعاد الأطفال يكون قد رسم خطوط الأمل وفتح لهم نوافذ الحرية، فالشاعر يعيد تشكيل الواقع ليكوّن صورة جديدة للحياة، وقد تنوّعت العناوين التي طرقت موضوع الصداقة منها (صداقة[15]، والصدق والأمانة[16]).

وقد ورد أيضًا استعمال الصفات اللاأخلاقيّة المنبوذة في المتن الشعري وهي قلّه قياسًا بنصوص الأخلاق الأخرى، إلّا أنَّه شكَّلَ حضورًا ملفتًا بما تناوله من موضوعات، ومضامين، فربَّ نصيحة ترسخ عمرًا، وتشيع بين الأطفال، وتكون من المسلّمات التي تحفّز الجيل على العمل بها، ومن ذلك نصّ (الكذّاب)[17]، الشاعر جليل خزعل الذي جعل الكذاب منبوذًا مبعدًا، لا يقترب منه أحد، فيقول:

الكذّاب الكذّابْ

أسوأُ أنواعِ الأصحابْ

أنا لا أمشي

أنا لا أحكي

مع كذّاب

وتنطق الكلمات الأولى بلسان التحذير معلنةً عن سوء الصفة وقباحةِ حاملها، إذ لا أحد يماشيه؛ لأنَّه لا يقف على كلامه، ويتحايل، ويزرع البغضاء بين الأصحاب، وطالما تركه الناس لسوء فعله.

ج- الشكر:

يتفضل الله بمنّه وعطاياه على عباده دائمًا وأدبًا، ولزامًا أن يكون له الحمد ابتداءً، زيادة على الشكر الكثير على ما النعم والكرم، وتختلف مصاديق الشكر وعناوينه، فتارة تكون الشكر لنعمة دائمة، أو على رزقٍ متجدد، أو على عطاياه وكرمه بعد الدعاء والسؤال، وقد استعمل الشعراء المضامين الآنفة بطرائق تقرّب الفهم على المتلقي، فجعل الشاعر حيدر شمران هذه المضامين دائرةً على لسان العصفورة في نص (عصفورة)[18]، وفيه يقول:

قالَتْ ليَ العصفورةْ

وهي تطيرُ في السّما مسرورةْ

يا فرحتي برزقنا الوفيرْ

وعيشنا القريرْ

فقلتُ: يا عصفورتي

اللهُ قد أكرمنا بنعمةٍ كثيرةٍ

ورحمةٍ كبيرةٍ

فهو الذي يطعمنا

وهو الذي يرزقنا

وهو كريمٌ ما لهُ نظيرْ

وهو سميعٌ عالمٌ بصيرْ

فلنشكر الإلهْ

ليس لنا سواهْ

وهنا يمعن الشاعر في الشكر بعد أن هيّأ أسبابه المتمثّلة بعظيم المن، وكبير الرّحمة التي يتلقاها المخلوق من الله -سبحانه وتعالى- والشكر زيادة على كونه جاء بعد المنّ والتفضّل، إلّا أنَّ الشاعر مقرٌّ بأنَّ الشكر لله لكونه الله المتفرّد الذي ليس له نظير وليس للخلق عنه غنى، فهو مدار الحياة، وسرّها.

د- الفضائل:

ومن أبرز معالجات الشاعر لقضايا الأخلاق هو دوران مضامينها بصيغ مختلفة، منها المضامين الدائرة على ألسنة الحيوان كما في نصّ (قطتي)[19]، ونصّ (دبدوب الحداد)[20]، أو دورانها بشكل مفاهيم مجرّدة كما في معالجة الشاعر جليل خزعل إذ أورد العديد الجوانب الأخلاقيَّة في نصّ (فضائل)[21]، ومنها قوله: (الرجز)

الصِّدْقُ والوفاءُ
والجودُ والعطاءُ
والحلمُ والشجاعةُ
والزهدُ والقناعةُ
وسائرُ الفضائلِ
تُغرسُ كالفسائِلِ

ويتّضح من حشد الفضائل والصورة التي جاء بها الشاعر أنَّها كالزرع الذي ينتفع منه الإنسان، فشبّه الفضائل التي اكتنز بها النّص بالزرع، وأيّ غرس ذاك الذي يثمر خيرًا ونعمة وبركة كما تثمر الأخلاق.

المبحث الثاني: المضامين التربويَّة:

يكتنف المجتمع الأطفال بغض النظر عن الحال والكيفيَّة التي تجري بها عمليَّة التنشئة، وتستمد هذه العمليَّة قوّتها من وحدة البناء المجتمعي، المتمثل بجانب الفكر التربوي والثقافي الذي يتوجّه بكلِّ امكانيّاته لخدمة الجيل؛ لبناء المجتمع[22].

وإنَّ (المجتمع والمدرسة والأسرة) هي الركائز الثلاث التي يقوم عليها أساس النظام التربوي والتعليمي الذي يحوي جميع القيم والعادات التي يتّسم بها المجتمع، وليس دور التربية متوقف على الأسرة ومتروك لها، فعلى الرُّغم من أنَّها هي المسؤولة الكبرى عن المجتمع لأنَّها نواة، لكنَّها في الوقت نفسه يجب أن تُسندَ من قبل فئات المجتمع ومؤسساته، ويبقى النظام التربوي والأخلاقي منوطٌ بما يُشاع من قيم أصيلة في المجتمع، وترك القيم الهامشيَّة الحافَّة التي تشكِّلُ عوامل قلق للبنية المجتمعيَّة، كالثقافات المستوردة، والقيم الدخيلة.

فعندما يعالج الشاعر موضوعًا ما فإنَّه سيكشف عن وعيه الخاص، وتأثير بيئته وفكره القار في ذاته، كما سيظهر للعلن موارد مرجعيته، فإن عالج موضعًا اجتماعيًا بنظرة إنسانية بحتة، سيختلف في تناوله لها عمن يتطرّق إلى الموضوع ذاته بنظرة فلسفية، أو نفسيّة، أو أخلاقيّة، أو تربويّة، وهذا يتضمَّن النصح والإرشاد بشتّى دوافعه، وهذه المضامين تستعمل صيغة استحباب الفعل واستكراهه، (المدح والذم)، وغالبًا ما تأتي بصيغتي (افعل، ولا تفعل) وهما من أساليب التربية قديمًا وحديثًا، فمبدأ الثواب والعقاب مبدأ تربوي نفسي، يعود بالنفع على جميع الأطراف حال استعماله بشرائطه[23]، وإنَّ سبيل الوصول إلى الأهداف المرسومة للتنشئة والتربية هو حلول القيم في نفس الباث؛ ليكون الأدب معبّرًا عمّا تطمح إليه وترغب فيه، وليس من السهولة جعل القيم التربويَّة في نصّ الطفل، دون النزوع إلى أدوات التأثير العاطفي، التي تحرّك بدورها النفس لتلقي النصّ بعاطفة وحبّ، فإنَّ ما يتلقّاه الطفل بحبّ سيتغلغل في وجدانه، ويبقى عالقًا في مخيّلته وضميره كلما ارتبط بموقف مشابه، وتتأثر الطفولة بالأخلاق الحسنة التي تُسقى منها، وحين يحسن الشاعر الأدوات الفنية فسيغدو النصّ منتجًا، ومن هذه المضامين:

1. العمل:

يمثّل العمل بيئة تكتنز العديد من السمات التي تجعل منه مدار عمليّات تعليميّة وتربويّة، إذ يمثّل رابطًا تتآلف فيه النفس مع الواقع الخارجي، وليست بيئة العمل إلا مساعدة لبناء الفكر وديمومة العمليات العقليّة، وقد ساهم الشعراء في رسم صور عديدة للعمل لكونه ضرورة للحياة، والعمل هو سعيٌ سوف يرى، وسوف يجازى العامل أجرًا ماديًّا أو معنويًّا في الدنيا، وسيحظى العامل على حسن الثواب في الآخرة.

وقد استعمل الشاعر جليل خزعل هذه المعاني في نصّ (العمل)[24] إذ يقول فيه:

اللهُ باركَ العملْ

هيّا فدع عنكَ الكسلْ

هيّا توكّلْ يا أخي

إسعَ ومِنْ غيرِ مَللْ

كيفَ تكونُ عاطلًا

والكلُّ حولكَ انشغلْ

فكنْ نشيطًا منتجًا

تعملُ مِنْ غيرِ كللْ

فأنَّ من جدَّ وجَدْ

وإنَّ مَنْ سارَ وصلْ

وهنا يتجلّى وعي الشاعر بأهميّة تحفيز الطفل، وتعليمه أسس الحياة، واعطاؤه المثل التي تتمثّل بأخلاقيّات العمل وأهمّها الجّد والإنتاج من غير تراخي أو كسل، فإنَّ الكسل ممقوتٌ والبطالة مفضية إلى سوء الأخلاق وقلّة الحيلة. وفي هذا الاطار ينشأ الطفل معتدًّا بنفسه، راغبًا في ابراز ذاته، والولوج في الحياة لإثبات خصاله وسجاياه، والتعامل مع فئات المجتمع وطبقاته، فالابن على سرُّ أبيه، ونتاج أسرته، وصنيعة محيطه ومجتمعه، وتنطلق خيالات الشاعر محمّد كاظم جواد على لسان الفراشة في نصِّهِ (موسم الربيع)[25] فيقول:

فراشةٌ تَقول:

هيّا إلى الحقولْ

إلى أن يقول:

وها هي السَّنابلْ

تَبْسِمُ للمناجلْ

وهنا لم يصادق الشاعر احساسه بالكائنات في علاقة يملؤها الودُّ والصفاء؛ لتكون الفراشة الناطقة باسم الطبيعة والحياة، ومشيرةً إلى قبول الآخر وعدم الاقصاء، فقد استطاع الشاعر كسر الخوف في (السنابل) بنقض التهميش الذي تعيشه وكأنَّ السنابل تقبل مشتاقة للمناجل، لا استسلامًا بل تضحيةً للوجود، وعطاءٌ بلا ثمن، ليستمر الخلق، وفكَّ الشاعر احجية الحياة بأسمى مضمون وهو (التضحية) التي هي مدار حياة الكائنات.

2. التربية الأسريّة:

الأسرة نواة المجتمع، كما أنّ الإنسان مركز الكون، وعقله هو السرّ الذي به عرف مكامن هذا الكون وخفاياه، والتنشئة التي يحظى بها الفرد هي الحدّ الفاصل بين أن يكونَ فردًا صالحًا ناجحًا أو فردًا لا يحمل أيّة مسؤوليّة أين ما توجّه لا يأتي بخير، والسلوك يبدأ تقويمه في المقام الأول من العائلة، وفي نصّ (دُمْيَتي) للشاعر جليل خزعل ترى الآداب التي ينشأ عليها الصغار بقوله على لسان طفله:

حقًّا أنا سَعيدَةْ

بدُميَتي الجديدةْ

لأنَّها لطيفةْ

ناعِمَةٌ خفيفةْ

أحكي لها حكايةً طريفةْ

وعادةً ننامْ

لا نُكْمِلُ الكلامْ

لكنّها صباحًا

تشكرني ببسمةٍ لطيفةْ

فتستحقُّ مني قبلَةً جديدةْ

وهنا كأنّ الطفلة تحاكي واقعًا أسريًّا تعايشه مع أمّها، أو أحد أفراد أسرتها، وهذا الواقع ينعكس على تعاملاتها مع أقرانها بصورة واقعيّة، أو تشعر به في خيالها مع الدمى والألعاب الخاصة بها، وفي نسق الارشاد، وتحت مظلَّة العناية، تتوالى نصوص الشعراء التي توحي بوعي كاتبها الذي لا يريد للطفولة أن تقف عند حدّ، فتارةً تراه يستعمل مضامين وأفكارًا تكتنفها الرعاية الأبويَّة الأسريَّة، وأخرى يغدق بتعاليم مجتمعيَّة تتجلى على لسان ناصحٍ أمين، ومرّة تكون من ذات الشاعر إلى الطفل، وفي ذلك يقول الشاعر جليل خزعل في نصّ (لا تتعجَّل)[26]:

حينَ تُريدُ حلولًا أفضلْ

أَبَدًا، أَبدًا لا تتعجَّلْ

نَظِّم فِكرَكَ ثمَّ تَمهَّلْ

بالتنظيمِ حَياتُكَ أَجملْ

فالشاعر يهتمُّ بشخصيَّة الطفل، إذ يحفِّزه دائمًا ويزجَّهُ في المواقف التي تشيع في نفسه العزم والقوة، وفي نصّ (أبي نزيه)[27]، للشاعر جليل خزعل يدخل مضامين نفسيَّة واخلاقيَّة متعددة فيقول:

إنَّ أبي موظَّفٌ نزيهْ

إخلاصُهُ أجمل طبع فيه

كَمْ خَدَمَ البلادْ!

كَمْ حاربَ الفسادْ!

يعالج الشاعر موضوعًا حساسًا، فهو في استعماله أسلوب التقرير والاخبار، تمكَّن من جعل هذه القيم قارة في النفس، وطالب المتلقين أن يكونوا متبعين أثر كلّ خير، رافضين لكلِّ سوءٍ وظلم، وما دام الأب يتسم بالأخلاق فمؤكد ستكون تربيته لبنيه في الإطار ذاته.

وهناك قيم أخرى وظّفها الشعراء في نصوصهم وهي قيم تدور في فلك التربية الأسريَّة كالالتزام بالحجاب ومن ذلك ما جاء في نصّ (حجابي)[28] للشاعر حيدر الشمري، ومنه قوله:

قالَتْ لي أُمِّي كِلماتْ
حَمَلَتْني فوقَ الغَيماتْ
يا بنتي إنّي أُخبرُكِ
بنَصيحةِ أمٍّ تَنْفَعُكِ
الزَّهرةُ تزهو بنَداها
في الحقلِ إذا النّورُ كساها
وحجابُكِ نورٌ يرعاكِ
يا قُرَّةَ عيني إيّاكِ
أنْ تنسي طاعةَ مولاكِ
شكرًا يا أُمّي، وجوابي:
سأصون عفافي بحِجابي

وبمطالعة النصّ سترى استرسال الأفكار التي شُفِعَت بالخيال المنساب والشعور الدافق الذي وظّفه الشاعر لجعل ملامح النصّ أكثر قربًا من الأطفال، ولم تغب اللغة الشعرية بمفاتيحها عن ذهن الشاعر فجمع بين الخيال والحقيقة، واستعمل التصوير، والتشبيه، فجعل البنت كالزهرة، وجعل الحجاب كالنور الذي يجلل البنت عند ارتدائها له، واستعمل الشاعر أسلوب النصح والارشاد بطريقة تربويّة، يستطيع من خلاله الولوج إلى نفسية الطفل، ليحاكي مشاعره ويزرع فيه ذلك التقبّل المحفوف بالطاعة المفترضة التي هي ملاذ الفتاة الآمن وحصنها المنيع، وأخيرًا وقبل أن يختم الشاعر نصّه حذّر –على لسان الأم– من التفريط بالحجاب، ليكون الردّ حاضرًا باستجابة إيجابيّة.

3. التربية المدرسيّة:

وتكمن التربية في هذا الإطار بتعليم الأطفال سلوكيات وعادات يتطبّعون عليها من خلال مواقف تربويّة مختلفة، فعندما يعي المربي دور المدرسة ويسهم في رسم صورة إيجابيّة في ذهن الطفل عن المكان الجديد الذي سيلتحق به، ويعرّفه بالآخر الذي يتمثّل بالمعلّمة والزملاء فإنَّه يشكّل صورة ذهنيّة في مخيّلة الطفل تسهم في حبّ الطفل للمدرسة، وكانت بعض النصوص الواردة في المتن الشعري ((محاولة من الشعراء لتقديم مجتمع تسوده الفضيلة والخير، لتتركّز هذه الرؤية في نفوس الأطفال، وبالنتيجة ربما يحدث التغيير الإيجابي في المجتمع مستقبلًا))[29].

ومن ذلك ما جاء في نصّ (معلمتي)[30] للشاعر سراج جراد[31]، معبّرًا عن مفاهيم تربويَّة واخلاقيَّة وانسانيَّة يملؤها الودّ، فيقول:

لمعلّمتي تشدو شفتي يا أحلى حرفٍ في لغتي
يا من أهديتيني النورا علمًا وضياءً وسرورا
علّمتني ألفًا باءْ أحرف لغتي كنز ضياءْ

وقد دمج الشاعر في الأبيات التالية المشاعر الوجدانيَّة مع المدخلات التعليميَّة، فأضفى ذلك على النصّ روحًا، فكأنَّ النصّ جاء بمعنى من علّمتني حرفًا ملَّكتني طريقَ ضياء المعرفة ونور العلم، ومن المدرسة يتعلم الجيل مبادئ التربية إذا ما كان التوجّه للعملية التربوية مستمرًا، إذ توجّه المدرسة بملاكها الأطفال نحو قيم الخير والصلاح ومن ذلك ما جاء في نصّ (إقرأ)[32] للشاعر سراج جراد ومنه قوله:

اقرأ[33]وادرسْ كي تتعلَّمْ فبلا علم لن تتقدَّمْ
بالعلم نعيشُ به نسلمْ وبلا جدٍّ لن نتعلَّمْ
العلمُ غراسٌ نزرعهُ في الوطن لنبني المستقبل

فترى الشاعر يسترسل في مزايا القراءة التي تثري الجانب التربوي والجانب العلمي، فالدعوة للعلم من أهم مبادئ التربية التي تشترك فيها الأسرة والمدرسة كونهما أساس المجتمع.

وهنا يأتي الشاعر ليجدد التحفيز وعقد الهمَّة، في ثنائيَّة تدور في فلكها الحياة، وهي ثنائيَّة (الحركة والسكون)، وتستكمل صور الدعوة إلى جعل الحياة أكثر متعة، فيكون وقت الفراغ عدو الطفل، فهو طريق يتسلل منه الجهل ليتشبَّث بالعقل، ففي نصّ (وقت الفراغِ)[34]، يقول الشاعر جليل خزعل:

وَقْتُ فراغي يا إخواني هوَ مُشْكِلَـةٌ تَتَحدَّاني
أَفضَلُ حَلٍّ يا أحباب أن أقرأ في البيت كتاب

ومن ذلك ما ورد في نصّ (نرجس تقرأ)[35]:

نرجسُ تقرأ كلّ صباحْ
تملأ قلبي بالأفراحْ
تقرأ (ماما يا أنغاما)
دمتِ عطاءً دمت حنانا

ويقرّب الشاعر تصوير المشاعر الإنسانيَّة في الأسرة من خلال التواصل بين أفراد الأسرة الذي يعزز من فعالية التربية، وفي الوقت الذي تكون فيه عمليَّة التربية في البيت والمدرسة والمجتمع قائمة على أساس التنميط، الذي يعدَّ فيه التعليم تحجيمًا بسبب ما مُني به المجتمع من انزياح القيم، والتجهيل الذي يمارس ضدَّ الأطفال، انبرى أدباء الطفولة وحاولوا التركيز على ((القضايا التي تكون محلّ اهتمام الطفل المعاصر ومحطّ أنظار الصغار ومدار مرحلتهم العمريَّة، لذا عمل الشعراء المعاصرون على نقل تجاربهم الاجتماعيَّة إلى الصغار؛

ليتعلموا منها ويأخذوا الحكمة))[36]، فتناولوا مواضيع الفضائل داعين إلى إحداث تغيير إيجابي في المجتمع، وفي سياق الأعمال التي يكتنفها البعد التربوي.

4- التربية الوطنيّة:

لا تخلو قصائد الشعراء من ذكر الوطن، فطالما تغنّى الشعراء بطبيعة الوطن، وبأمجاده، وافتخروا بحبهم له، وفدائهم لتراب أرضه، ونسج شعراء الطفولة نصوصًا عديدة على نحو هذه المضامين ومن ذلك قول الشاعر جيكار خورشيد في نصّ (وطني):

وطني يا وطن الأحـرارْ يا شمسًا كُـلِّلَ بالغارْ
في أرضكَ تجري الأنهـارُ وتغرِّدُ فيـها الأطيـار
الغيمـةُ تهدي الأمطارَ كي تشرقَ شمسُ الأزهار
قسمًا يا أرض الأخيـارْ سأقاتلُ كلَّ الأشرارْ
فنخيـل بـلادي جبّار يصمدُ في وجه الإعصارْ
في وطني وطن الأحـرار أجعلُ داري أجمل دار

وتكمن التربية الوطنيّة في ما يبثّه الشعراء من مضامين نفسية واجتماعيّة وروحيّة، تشدّ الأطفال للتعلق بالوطن من خلال مناغاة مشاعرهم بألفاظ تحرك الأحاسيس العميقة في نفوسهم، وينكشف التعامل مع الطفولة عِبر ما يطرحه الشاعر من أفكار، فهو يصور الطفل كما يراه، أو كما يراه محيطه المجتمعي، ولكلِّ مكان وزمان وموقف تأثيره على شخصيَّة الطفل، وإنَّ هذا الأثر (منسحب على طبيعة التعامل معه، والاهتمام به وهو اهتمام متواضع.. لما كان يواجه المجتمع من مهام جسيمة، وتحديات صعب)[37]، وعلى هذا فإنَّ الاهتمام بالنظام الاجتماعي له فوائد جمَّة، ويأتي نصُّ (ابن البطل)[38] ليصور مشهدًا واقعيًّا، عاطفًا أجنحة الخيال إلى الحقيقة المنسابة من ألم الواقع، ليقول على لسان طفل:

أبي مضى لِجَنَّة الخلودْ
وإنَّه للبيت لن يعودْ
لكنني سعيدْ
كونَ أبي شهيدْ

وتتضح الواقعيَّة في خطاب الحال، إذ يعبِّر الشاعر عن رسالة الطفولة وأحوالها وعن النفس الراضية بما يجري من الأقدار، وتلك المضامين التربوية لم تكن لتحلّ في نفس الطفل لولا التربية التي تشبّع بها من محيطة الأسري.

وختامًا فإنَّ المضامين والأفكار في هذه الأشعار شكَّلت ظاهرة واضحة تحيل إلى مرجعيَّات الخطاب التي تأثر بها الشعراء، وإنَّ هذا يبيِّن وبجلاء السعي الحثيث لترسيخ القيم الأخلاقيّة في شعر الطفل، هذا من جهة

ومن جهة أخرى اضطلاع ثلَّة من الأدباء بمهمَّة نشر الوعي الثقافي الخاص بشريحة الأطفال، والمتن الشعري يحمل مضامين الحياة الثقافيّة، والفكريَّة للطفل المسلم عمومًا، ويلاحظ أنَّ المتن الشعري –على اختلاف موضوعاته– سادت فيه الجوانب التربويَّة، فكانت الموضوعات الاجتماعيَّة والأخلاقيَّة والإنسانيَّة، والتعليميَّة، تصبّ في بوتقة الارشاد والوعظ.

نتائج البحث:

1- يتّضح من خلال البحث أنَّ النّص مشدود أكثر ما يكون إلى مرجعيّات محرّكة للنص الشعري، وهذه المرجعيّات لها بعد ديني زيادة على البعد الأخلاقي والتربوي.
2- تركيز المتن الشعري على شخصيّات قريبة من بيئة الطفولة، لا سيما (الأب، الأم، الأخ، الجدّ)، وشخصيّات أخرى لها تعلّق تربوي كـ(المعلم، المعلمة)، وهذه الشخصيّات تخدم في طبيعتها المضامين التربويّة.
3- استعمل الشعراء المحاكاة الحقيقية والخيالية للجوانب الأخلاقية والتربوية على ألسنة الموجودات، فكانت المضامين تُطرق على ألسنة (الشعراء، أو الأهل والأصدقاء، أو القمر، أو الحيوانات).
4- وظّف الشعراء الصفات الأخلاقيّة الحسنة في معالجة القضايا الاجتماعيّة وجعلها قيم ذات أهميّة كبيرة تستقي مادّتها من مناهل ثقافية مختلفة، ولها أبعاد أخلاقية وتربوية متعدّدة.
5- حرص الشعراء على استعمال معجم لغوي قريب من بيئة الأطفال ليكون اللفظ فيه مطابق لمعناه، كما وظّفوا اللغة الشعرية السهلة البسيطة، والتي تتسم بالوضوح والمباشرة، أما فيما يخص الصور الشعرية، فجاءت بصورة تلقائية بعيدة عن الغموض.

الهوامش:

(1) ينظر: موسوعة أدب الطفل، حسام الجمل، دار الأيام، عمان– الأردن، ط1، 2016م، ص9.
(2) ينظر: أدب الطفولة أصول ومفاهيم رؤى تراثية: أحمد زلط: الشركة العربية للنشر، ط2، 1994م، ص 13.
(3) مقابلة أجراها الباحث مع مدير تحرير المجلة حيدر محمد الكعبي بتاريخ 2021/12/26م.
(4) ينظر: الحكاية الشعرية في أدب الطفل في العراق نماذج مختارة، ضحى جعفر هندي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة عام 2020م، ص55.
(5) مضامين الشعر الموجّه للأطفال في ليبيا "ديوان الزهرة والعصفور" حسن السوسي أنموذجًا، ص 248.
(6) ينظر: الرَّمز في شعر الطفولة سليمان العيسى أنموذجًا، العبدوي عيسى، ومريشة رضا، معهد اللغات والآدب العربي، المركز الجامعي العيد أكلي محند أولحاج، الجزائر، 2010–2011م، ص21.
(7) شعر الطفولة في العراق 2003–2015 دراسة موضوعية فنية، دعاء ثامر حميد، رسالة ماجستير، كليّة التربية للبنات، جامعة بغداد، 2016م، ص45.
(8) ينظر: الحكاية الشعرية في أدب الطفل في العراق نماذج مختارة، ص55.
(9) ينظر: ع60، 2020م، ص17.

(10) شعر الطفولة في العراق 2003–2015م، ص52.

(11) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(12) ينظر: ع27، 2017م، ص15.

(13) ينظر: ع26، 2016م، ص15.

(14) ينظر: ع42، 2018م، ص19.

(15) ينظر: ع62، 2021م، ص19.

(16) ينظر: ع69، 2021م، ص34.

(17) ينظر: ع7، 2014م، ص10.

(18) ع68، 2021م، ص19.

(19) ينظر: قنبر، ع33، 2017م، ص19.

(20) ينظر: قنبر، ع66، 2021م، ص19.

(21) ينظر: قنبر، ع66، 2021م، ص30، وينظر أيضًا: ع37، 2017م، ص17.

(22) ينظر: مقدمة قصيرة جدًا أدب الأطفال، كيمبرلي رينولدز، ترجمة: ياسر حسن، مؤسسة هنداوي، ط1، 2014م، ص122.

(23) ينظر: الحكاية الشعرية في أدب الطفل الحديث في العراق نماذج مختارة: ص 60.

(24) ع24، 2015م، ص16.

(25) ينظر: ع63، 2020م، ص19.

(26) ينظر: ع64، 2021م، ص19.

(27) ينظر: ع69، 2021م، ص19.

(28) ع68، 2021م، ص30.

(29) الحكاية الشعرية في أدب الطفل الحديث في العراق نماذج مختارة: ص83.

(30) ينظر: ع 43، 2018م، ص19.

(31) سراج جراد: أديب أطفال سوريّ، من محافظة دير الزَّور، حائزٌ على إجازة في الأدب العربيّ، ومختصٌّ بأدب الأطفال: شعر، قصَّة، رواية، سيناريو، له العديد من المجموعات الشّعريَّة والقصصيَّة وله روايتان لليافعين، ينشر في العديد من الدوريّات المحليَّة والعربيَّة، حصل على جوائز عربيَّة ومحليَّة عديدة. مقابلة إلكترونية بتاريخ: 13/3/2022.

(32) ينظر: ع41، 2017م، ص 19.

(33) كذا في النصّ وفي العنوان، والأصوب أن تكون: (اقرأ) بلا همز.

(34) ينظر: ع30، 2017م، ص19.

(35) ينظر: ع24، 2016م، ص16.

(36) ينظر: الحكاية الشعرية في أدب الطفل الحديث في العراق نماذج مختارة: ص87.

(37) الطفل والتراث: محمّد إبراهيم حوَّر، دار الثقافة والإعلام، الشارقة، (د.ط)، 1993م، ص19.

(38) ينظر: ع22، 2016م، ص9.

المصادر والمراجع:

- أدب الطفولة أصول ومفاهيم رؤى تراثية: أحمد زلط: الشركة العربية للنشر، ط2، 1994م.
- الحكاية الشعرية في أدب الطفل في العراق نماذج مختارة، ضحى جعفر هندي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة عام 2020م.
- الرَّمز في شعر الطفولة سليمان العيسى أنموذجًا، العبدوي عيسى، ومريشة رضا، معهد اللغات والآدب العربي، المركز الجامعي العيد أكلي محند أولحاج، الجزائر، 2010-2011م.
- شعر الطفولة في العراق 2003-2015 دراسة موضوعية فنية، دعاء ثامر حميد، رسالة ماجستير، كليّة التربية للبنات، جامعة بغداد، 2016م.
- الطفل والتراث: محمّد إبراهيم حوَّر، دار الثقافة والإعلام، الشارقة، (د.ط)، 1993م.
- مضامين الشعر الموجّه للأطفال في ليبيا "ديوان الزهرة والعصفور" حسن السوسي أنموذجًا.
- مقدمة قصيرة جدًا أدب الأطفال، كيمبرلي رينولدز، ترجمة: ياسر حسن، مؤسسة هنداوي، ط1، 2014م.

المقابلات:

- مقابلة أجراها الباحث مع مدير تحرير المجلة حيدر محمد الكعبي بتاريخ 2021/12/26م.